مدرسة المَهْجر

رشيد أيوب

رشيد أيوب

* ولد في بَسْكنتا سنة ١٨٨١، رحل إلى باريس سنة ١٨٨٩ وأقام فيها نحواً من ثلاث سنوات ثم غادرها إلى مانشستر، ومنها هاجر إلى أمريكا حيث أقام في ولاية لويزيانا، ثم أمّ نيويورك وفيها انضم إلى زملائه، وعمل معهم في تأسيس الرابطة، أصدر "الأيوبيات" ١٩١٦ و"أغاني الدرويش" ١٩٢٨ و "هي الدنيا" ١٩٤٢، توفي في المهجر سنة ١٩٤١.

* من يقرأ ديوانه الأول "الأيوبيات" –الذي يصور صلة الشاعر بالمجتمع في مرحلتها الأولى، لابدّ له من أن يكبر روحه الشعرية، مع تغاضيه عن التعبير الشعري، تلك الروح التي تعشق الحرية وتجاهد في سبيلها، وترى في الحرب العظمى جناية على الإنسانية، وتهتز اهتزازة العطف العميق الصادق، على لبنان في مجاعته ونكبته، وترتبط برباط وثيق مع الوطن.

*** ثــم تختفــي هــذه المشــاركة دفعــة واحــدة فــي "أغــاني الدرويش»، وإذ بالشاعر متوحدٌ يعيش في قصـور الخيـال، ولا يرى في المجتمـع إلا نفسـه وشـجونها وأشـواقها، ولا يطلـب من الدنيا أن تمنحه إلا خيمة الناطور، ليعيش فيها قانعاً بفقره وعزلته.**

* كانت أكثر قصائده قائماً على طريقة التخميس، أو على محاكاة بعد القصائد القديمة، وكل هذه الأمور تجعله يظهر بمظهر المبتدئ الذي حاول أنواعاً من التجارب في الشعر، وخاصة أنّ موهبته وثقافته وتمرسه باللغة، كانت لا تعينه على الاضطلاع بعبء الجزالة والفخامة والموسيقى الجهيرة الرائعة،

* لم يسلم رشيد في شعره من عيب كبير، وذلك هو انسياقه وراء القصيدة، دون أن يعرف لها حدوداً صارمة، أو يدرك ما الذي يريد منها أن تؤديه، فتجيء قصيدته مبهمة، لا لأنه ينحو منحى الرمز أو يتوعر في مسالك الفلسفة، أو يشط في استغلال المجازات والاستعارات والصور، لا لشيءٍ من ذلك كله، وإنّما لأنّ القصيدة عنده لا تخضع لانفعال عميق، ولا تلتزم الدقة في التعبير، بل تتميّع حدودها، وينساح موضوعها البسيط، في رقعة واسعة ليس فيها علاقات واضحة.

*** كان رشيد أعمق من سائر رفاقه إحساساً بأنه هارب، وأكثرهم حديثاً عن اللذة التي يجدها في عزلته وهربه.**

قصيدة: يا ثلج

يا ثلجُ قد هيّجتَ أشجاني ذكَرتني أهلي بلُبنَانِ

باللهِ عَنّي قُل لإخواني ما زالَ يرعى حرمةَ العهد

يا ثلجُ قد ذكّرتني الوادي مُتَنَصّتاً لِغَذيرِهِ الشّادي

كم قد جَلَستُ بحضنه الهادي   فَكأنّني في جَنّةِ الخُلدِ

يا ثلجُ قد ذكِرتني أمّي   أيّامَ تقضي الليلَ في همتي

مشغوفةً تحَارُ في ضَمّي   تحنو عليّ مَخافَةَ البردِ

يا ثلجُ قد ذكّرتني الموقِد   أيامَ كُنا حَولهُ نُنشِدِ

نعنو لَدَيهِ كأنّهُ المسجِد   وكأنّنَا النُّسّاكُ في الزُّهدِ

يا ثلجُ أنتض بثوبكَ الباهر   ونقائهِ كطويّةِ الشاعِر

لَو كنتَ تدري الناس يا طاهر لبعدتَ عنهم أيّما بُعدِ
لَو لم تذُب من زفرَة القلبِ أو دمعيَ المنهال كالسُّحبِ
لبَنَيتُ منكَ هياكلَ الحبِّ وحفَرتُ في أركانها لحدي

قراءة في النص

أولًا: نداء الجمادات

- يا ثلج.
- ظهر نداء الجمادات ظاهرة معنوية وأسلوبية في الشعر المهجري.
- تنبئ الظاهرة عن انقطاع الإنسان عن أخيه الإنسان.
- يبدو الثلج معادلاً موضوعياً للإنسان في النص.

ثانيًا: التكرار

- تكرار النداء يكشف العلاقة الحميمة بين الشاعر الإنسان والثلج.
- إنزال غير العاقل منزلة العاقل.
- يشعل الثلج البارد في نفسه كلّ الذكريات الجميلة.

ثالثًا: قوة الهروب في شعر أيوب

- قسوة الغربة (المكان) ← الوطن (لبنان)
- قسوة الإنسان ← حنان الأم.
- قسوة اللحظة الحاضرة ← غِبْطة الماضي.

رابعًا: اللغة

- اللغة بسيطة ساذجة، تحكي سذاجة العاطفة والأمنيـة عنـد الشاعر.
- التناص الإسلامي (جنة الخلد، المسجد، النساك، الزهد).
- التناص المسيحي (حضنه الدافئ).

خامسًا: الموسيقا

اختار الشاعر طريقة المزدوجات الموسيقية في الشعر، وأقام عليها قصيدته، مع الاحتفاظ بالقافية الواحدة للنص.

سادسًا: رسالة النص

- يترجم النص عن إنسان مغترب معذّب، فقد الثقة في أخيه الإنسان، فهو يتحرق إلى وطنه وأهله، وإلى كل شيء جميل في مكانه الأول، ويجعل من الثلج رسولًا أمينًا وخليلاً وفياً ينقل التحايا لأهله وجيرانه.

تساؤل:

- على ضوء قصيدة رشيد أيوب..
- تحدث عن الخصائص المعنوية والأسلوبية لشعر الغربة والحنين للأوطان في الأدب المهجري.